نعمة الستر

الشيخ/ندا أبو أحمد

نعمة الستر

تمهيد

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ باللهِ من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

نعمة الستر

الله عز وجل سِتِّير يحب الستر:

الستر له صور وأنواع:

١- عدم نشر المنكرات التي تقع في المجتمع:

٢- ومن صور الستر: ستر العورات:

وعلى المرأة المسلمة أن تستر نفسها وتلتزم بحجابها:

٣- ومن صور الستر: ستر الصدقات. (وهو ما يعرف بصدقة السر):

أ- صدقة السر من أسباب رحمة الله تعالى:

ب- صدقة السر تقي حر شمس يوم القيامة:

٤- ومن صور الستر: الستر عند تغسيل الميت:

٥- ومن صور الستر: ألَّا تصف المرأةُ امرأةً أخرى لزوجها:

٦- ومن صور الستر: عدم إفشاء أسرار الفراش التي تكون بين الزوجين:

٧- ومن الستر: عدم التجسس على الآخرين:

٨- ومن صور الستر: ستر المسلم على أخيه المسلم:

محبة السلف الصالح للستر والحرص عليه:

ومن فضل وفوائِدِ السِّترِ على النفس والآخرين:

فعلينا جميعًا أن نتخلق بهذا الخُلق الكريم:

تنبيهات هامة خاصة بالستر:

الستر وأقسام المذنبين:

٩- آخر أنواع الستر وأهمها... أن يستر الإنسان على نفسه إذا وقع في معصية:

وأخيرًا.... أيها العصاة! لا تغتروا بستر الله عليكم.

وهناك أصناف من الناس قد يكشف اللّه ستره عنهم. فاحذر أن تكون منهم:

١- المجاهر بالمعصية:

٢- من يتتبع عورات المسلمين:

٣- المصر على المعصية ولم يتب منها:

وأخيرًا.... أحبتي في الله، عليكم أن تدعو الله دومًا أن يستركم في الدنيا والآخرة.

بســـــم الله الرحمــن الرحيــم

نعمة الستر[1]

أحبتي في الله... مما لا شك فيه أن نعم الله علينا كثيرة لا تُعَدُّ ولا تُحصى.

قال تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ فضلا عن قيامكم بشكرها ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ أي: هذه طبيعة الإنسان من حيث هو ظالم متجرئ على المعاصي مقصر في حقوق ربه كفَّار لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها إلا من هداه الله فشكر نعمه، وعرف حق ربه وقام به.

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل: ١٨)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ عددًا مجردًا عن الشكر ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ فضلا عن كونكم تشكرونها، فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات، من جميع أصناف النعم مما يعرف العباد، ومما لا يعرفون وما يدفع عنهم من النقم فأكثر من أن تحصى، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يرضى منكم باليسير من الشكر مع إنعامه الكثير.

ومن أعظم نعم الله علينا: نعمة الستر، والتي بِدُونها لا نَهْنَأُ بعيش، ولا يطيب لنا مُقامٌ، ولا نستقيم على حال، وهي نعمةٌ تناساها كثير الناس، ولم يعرفوا قدرها، ولم يستشعروا أثرها، فأي نعمة أعظم من ستر الله للعبد في الدنيا وعند الممات، وفي الآخرة على رؤوس الأشهاد يوم الحساب، فلا يطلع الناس منه على القبائح أو الزلات، ولا تتكشف منه العورات.

ومما يدل على أن الستر نعمة؛ ***ما أَخْرَجَه الْبَيْهَقِيُّ فِي" شُعَبِ الْإِيمَانِ" عَنْ عَطَاءٍ قَالَ:*** سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(لقمان:٢٠). قَالَ: هَذِهِ مِنْ كُنُوزِ عِلْمِي، سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" أَمَّا الظَّاهِرَةُ فَمَا سَوَّى مِنْ خَلْقِكَ، وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَمَا سَتَرَ مِنْ عَوْرَتِكَ، - ***وفي رواية:*** فَمَا سَتَرَ مِنْ مَسَاوِئِ عَمَلِكَ-، وَلَوْ أَبْدَاهَا لَقَلَاكَ أَهْلُكَ فَمَنْ سِوَاهُمْ ".

وقال الضحاك-رحمه الله-في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، قال: أما الظاهرة: فالإسلام والقرآن، وأما الباطنة: فما يستر من العيوب ". (الدر المنثور:٦/ ٥٢٦).

١- الستر: هو التغطية، ومنه قوله تعالى: (حِجَابًا مَّسْتُورًا) (الإسراء: ٤٥) يعني حجابًا على حجاب، فالأول مستور بالثاني، فمعنى الستر: هو إخفاء ما يظهر من الزلات والعيوب.

- وحتى تعرف قدر هذه النعمة؛ فلك أن تتخيل أخي الحبيب لو أن الله هتك أستارنا وكشف عيوبنا!

فكم من بيوت ستهدم، وكم من أسرة ستمزق، وكم من أرحام ستقطع، وكم من زوجة ستطلق، وكم من رجل سيفضح، وكم من صديق وخليل سيترك، وكم من دماء ستسفك... وكم.. وكم..

- ولك أن تتخيل... لو كانت للذنوب رائحة! ما استطاع أحد أن يجالس أحدًا.

- ولو كتبت ذنوبنا على جباهنا أو على جدران بيوتنا فاطلع الناس عليها، ما استطاع أحد أن يهنأ بعيش، أو يرفع رأسًا. وكان هذا واقع في بني إسرائيل؛ فكان أحدهم إذا أذنب ذنبًا يُكتَب ذنبه على باب داره، وتكتب معه كفارته. إنها فضحية وعار على رؤوس الأشهاد.

وقد ورد في تفسير ابن المنذر -رحمه الله-: **أن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا مجتمعين عند ابن مسعود ﷺ، فتذاكروا بني إسرائيل وما أعطاهم الله من فضائل، فقال عبد الله بن مسعود ﷺ:" كان الرجل من بني إسرائيل إذا أذنب ذنبًا كُتِبَ ذنبه على باب داره، وكُتِبَ معه كفارة ذلك؛ ليغفر ذلك الذنب، أما أنتم فجعل الله مغفرة ذنوبكم قول تقولونه بألسنتكم، ثم تلا قول الحق سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ(١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾** (آل عمران: ١٣٥، ١٣٦)

فقال ابن مسعود ﷺ: والله ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية.

فمن فضل الله علينا أن ستر عيوبنا وذنوبنا فلم يبدها، ولو كشفها لافتضحنا، وهذه نعمة عظيمة، ومنة جسيمة.

قال بعض السلف: أصبح بنا من نعم الله ما لا نُحْصيه، مع كثرة ما نَعْصِيه، فما ندري أيها نشكر؟ أعلى جميلُ ما ظهر؟ أم على قبيح ما سَتر؟.

وقال رجلٌ لأحد السلف: كيف أصبحتَ؟ قال:" أصبحت بين نعمتين، لا أدري أيَّتهُمَا أفضل: ذنوبٌ سترها الله عز وجل، فلا يستطيع أن يعيرني بها أحدٌ؛ ومودةٌ قذفها الله عز وجل في قلب العباد، لم يبلغها عملي".

وقال ابن الجوزي -رحمه الله-: " اعلم أن الناس إذا أُعْجِبوا بك، فإنما أُعْجِبوا بِجَمِيْلِ سترِ الله عليك ".

لأن الله -عز وجل- لو نشر ما ستر لانكشفت السوءات، وظهرت العورات، وما استطاع أحدٌ منا أن ينظر إلى وجه أحد، ولعمت العداوة والبغضاء بين الخلق أجمعين.

لكنه سبحانه وتعالى من رحمته بنا كسانا ثوب السِّتر، وحجب عيون الناس عن رؤيةِ معاصينا، وجمَّل ظاهرنا، وستر قبيح أفعالنا، ولولا ذلك، ما طاق أحد أن يعاشر أحدًا. وكما قيل:

وفي الناس شرٌ لو بدا ما تَعَاشَرُوا ولكنْ كساهُ اللهُ ثوبَ غِطـــاءِ وستر

فالعاصي إذا انكشفَ أمرُه ضاقَتْ عليه الأرضُ بما رَحُبَت، وتبرَّأ منه الأقربُون، وتجنَّبَه الناسُ أجمعون، ولكنّه سبحانه ستر عليه فلم يَفضَحه؛ بل يريدُ أن يتوبَ عليه ليتوب، فإن تاب وأناب عفَا عنه فغَفرَ سيئاته وتجاوز عن هفواتِه. ولولا فضلُه ورحمتُه لصارَ كثيرٌ منا مَفضُوحِين بين النّاس تتبعُهم الهمزاتُ والطعنات، وتُلاحِقُهم اللعناتُ، وتشير إليهم أصابعُ الاتهامِ. لكنه سبحانه وتعالى ستير؛ يحب الستر.

اللّه عز وجل حيي ستِّير يحب الحياء والستر:

والستر صفةٌ فعليةٌ لله عَزَّ وجَلَّ، فهو يستر على عباده في الدنيا والآخرة.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث يعلى بن أمية ﷺ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: **"... إن اللهَ عزَّ وجلَّ حليمٌ حييٌّ سِتِّيرٌ[1]، يُحِبُّ الحياءَ والسِتْرَ ".**

(صحيح الجامع: ١٧٥٦) (صحيح النسائي: ٤٠٤)

- وفي رواية: **" إنَّ اللَّهَ حييٌّ سِتِّيرٌ، يحبُّ الحياءَ والتَّستُّرَ فإذا اغتسلَ أحدُكم فليستتِر ".**

والستِّير: صيغة مبالغة على وزن فعيل، أي أنه شديد الستر على خلقه، أي: يحب الستر لعباده المؤمنين، فيأمرهم أن يستروا عوراتهم، وأن لا يجاهروا بمعاصيهم في الدنيا، وهو يسترها عليهم في الآخرة.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: **" إن اللهَ يُدْنِي المؤمنَ، فيَضَعُ عليه كنفَه ويَسْتُرُه، فيقولُ: أتَعْرِفُ ذنبَ كذا: أَتَعْرِفُ ذنبَ كذا؟ فيقول: نعم. أَيْ ربِّ، حتى إذا قرَّرَه بذنوبِه، ورأى في نفسِه أنه هلَكَ، قال: ستَرْتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفِرُها لك اليوم، فيُعْطَى كتابُ حسناتِه ".**

- وفي رواية: **" إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، وَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ الله له: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ"** متفق عليه.

فهذا يدل على أن الله يستر عبده المؤمن المستتر بالمعصية في الدنيا، ثم يتم عليه ستره يوم القيامة.

١- قال ابن الأثير- رحمه الله- في" النهاية": ستير: فعيل بمعنى فاعل: أي من شأنه وإرادته حب الستر والصون". واعلم أخي الحبيب أنَّ " السَّتَّار" ليس من أسمائه تعالى، ولم يرد ما يدل على ذلك، خلاف ما هو شائع عند عوام الناس.

وقد ذكر ابن قدامة-رحمه الله- في كتابه التوَّابين: أن موسى-عليه السلام- خرج يومًا يستسقي، فلم ير في السماء قزعة [1] واشتدَّ الحرُّ، فقال موسى: يا رب، اللهم إنا نسألك الغيث فاسقنا، فقال الله جل وعلا: يا موسى، إن فيكم عبدًا يُبارزني بالذنوب أربعين عامًا، فصِحْ في القوم ونادِ إلى العباد: الذي بارز ربه بالذنوب والمعاصي أربعين عامًا أن اخرج، فقال موسى: يا رب! القوم كثير، والصوت ضعيف، فكيف يبلغهم النداء؟! فقال الله: يا موسى، قل أنت، وعلينا البلاغ، فنادى موسى بما استطاع، وبلغ الصوت جميع السامعين الحاضرين، فما كان من ذلك العبد العاصي الذي علم أنه المقصود بالخطاب، المرقوم في الكتاب أنه ينادي بعينه بين الخلائق، فلو خرج من بين الجموع، عرف وهتك ستره، وانفضحت سريرته وكشفت خبيئته، فما كان منه إلا أن أطرق برأسه، وأدخل رأسه في جيب درعه أو قميصه، وقال: يا رب، اللهم إني أتوب إليك فاسترني، اللهم إني أتوب إليك فاسترني، اللهم إني أتوب إليك فاسترني، فما لبث موسى ومن معه إلا أن أظلَّهم الغيم، وانفتحت السماء بمطر كأفواه القرب، فقال موسى: يا رب، سقيتنا وأغثتنا ولم يخرج منا أحد، فقال الله: يا موسى، إن من منعتكم السقيا به تاب، وسألني وأعطيته وسقيتكم بعده، فقال موسى: يا رب، أرني ذلك الرجل، فقال الله جل وعلا: يا موسى، سترته أربعين عامًا وهو يعصيني، أفأفضحه وقد تاب إلي وبين يدي؟! **(ضعيف والمعنى صحيح وله شواهد كثيرة من القرآن والسنة تشهد لمعناه)**

قال ابن القيم-رحمه الله- في" القصيدة النونية" عن رب العالمين:

وهو الحَيِيُّ فَلَيسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ عندَ التجَاهُرِ مِنْهُ بالعِصْيَـانِ

لَكِنَّــهُ يُــلْقِي عَلَيْــهِ سِتْــرَهُ فَهْوَ السِّتِيرُ وصَاحِبُ الغُفْرَانِ

وكان يحيى بن معاذ يناجي ربه ويقول: " إلهي ما أكرمك، إن كانت الطاعات: فأنت اليوم تبذلها وغدًا تقبلها، وإن كانت الذنوب: فأنت اليوم تسترها وغدًا تغفرها، فنحن من الطاعات بين عطيتك وقبولك، ومن الذنوب بين سترك ومغفرتك".

فما أكرمه سبحانه وما أحلمه على خلقه، إن سألوه فلا يردهم، وإن عصوه فلا يفضحهم؛ مع أنهم يقابلون إحسانه بالكفران، ونعمه بالعصيان، وخيره إليهم نازل، وشرهم وسوء عملهم إليه صاعد، يتحبب إليهم بالنعم وهو غني عنهم، ويتبغضون إليه بالذنوب، ولو شاء لفضحهم وعاقبهم، ولكنه ستير يحب الستر.

وبعد هذه المقدمة وبيان فضل الستر وأهميته، وأنه من أفضل نعم الله علينا، آن لنا الشروع للدخول في الموضوع، وبيان صور وأنواع الستر، ومن هم الذين يرفع الله عنهم ستره فيفضحهم.

١ـ قزعة: أي سحابة.

الستر له صور وأنواع، ومنها:

١- عدم نشر المنكرات التي تقع في المجتمع:

خصوصًا ما حصل خفية، وانتهى أمره، فبالستر يقضى عليه وبفضحه نشرٌ له بين الناس، واستمراء للمنكر. وهذا ما يحصل في عصر الفضائيات عبر شبكة المعلومات، حيث يتم نشرُ الفضائح والقبائح، والبعض يتلذذُ بنقل تلك الزلات والعثرات، بل بلغ الأمر أن خُصِّصت برامج يخرج فيها بعض من اقترفوا الموبقات ليعترفوا على أنفسهم أمام الجماهير بما ارتكبوا من جرائم وآثام سترها الله عليهم، وما درى هؤلاء جميعًا أن هذه آفة خطيرة تهتك الحرمات، وتنزع الحياء من النفوس، وأنهم يرتكبون إثمًا عظيمًا يفسد عليهم دينهم ودنياهم معًا.

- **وقد توعَّد رب العالمين بالعذابِ الأليم كُلَّ مَن يُشيعُ الفاحِشةَ في المُؤمِنينَ:**

فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ[1] أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(النور: ١٩). والآيةُ فيها الحَثُّ على سَترِ المُؤمِنِ، وعَدمِ هَتكِه. (الإكليل للسيوطي ص: ١٩٠).

قال شُبَيلُ بنُ عَوفٍ الأَحْمَسيُّ-رحمه الله-: " كان يُقالُ: مَن سمِع بفاحِشةٍ فأفشاها، فهو فيها كالذي أبداها". (صحيح الأدب المفرد:٢٤٨) (الزهد لوكيع:٣/٧٦٨).

فالتخلق بخلق الستر والتواصي به يطفأ نار الفساد المتأججة في المجتمع ويختفي تحته كثير من أمراض المجتمع فلا تنتشر، حيث يُغلَّبُ حسن الظن بالله تعالى وبالناس، فيفضي ذلك إلى المحبة والود والألفة والتعاطف بين الناس.

٢- ومن صور الستر: ستر العورات:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث يعلى بن أمية ﷺ أن رسولَ اللهِ ﷺ رأى رجلًا يَغْتَسِلُ بالبَرازِ [2] بلا إزَارٍ، فصَعِدَ المنبرَ، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، وقال: إن اللهَ -عزَّ وجلَّ- حليمٌ حييٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الحياءَ والسِتْرَ، فإذا اغتسَلَ أحدُكم فلْيَسْتَتِرْ ". (صحيح الجامع: ١٧٥٦) (صحيح النسائي: ٤٠٤)

- ***وفي رواية:*** " إنَّ اللَّهَ حييٌّ سِتِّيرٌ، يحبُّ الحياءَ والتَّستُّرَ، فإذا اغتسلَ أحدُكم فليستترِ ".

وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ: " إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ، إِمَّا بَرَصٌ، وَإِمَّا أُدْرَةٌ[3]، وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى....". الحديث

١- وهذا جزاء وعقاب من أحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فكيف بمن أشاعها ونشرها وظهرها وأبدها؟.
٢- بالبراز: أي بالخلاء.
٣- البَرَص: داء من الأدواء وهو بياض يقع بالجسد. وَإِمَّا أُدْرَةٌ: فهي انتفاخ الخصية.

أخرج أبو داود من حديث جابر ﷺ قال: **" أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ إذا أرادَ البَرازَ انطلقَ، حتَّى لا يراهُ أحدٌ ".**
(صحيح أبي داود: ٢)

– ***وفي رواية:*** **كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يأتي البَرازَ حتَّى يتغيَّبَ فلا يُرى ".** (صحيح ابن ماجه: ٢٧٢)

وليس من الأدب ما يفعله البعض من التبوّل في الطريق ولم يستتر عن أعين الناس.

ولما رأى النبي ﷺ أحد الصحابة كاشفًا عن فخذه، قال له: **" غط فخذك فإنها عورة ".** (رواه الترمذي)

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن معاوية بن حيدة القشيري ﷺ قال: **قلت: يا رسولَ اللَّهِ! عوراتُنا ما نأتي منها وما نذَرُ؟ قالَ احفَظْ عورتَكَ إلَّا من زوجتِكَ، أو ما ملكت يمينُكَ، قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! أرأيتَ إن كانَ القومُ بعضَهم في بعضٍ؟ قالَ:" فإنِ استطعتَ أن لا تُريَها أحدًا فلا تُرينَّها"، قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! فإن كانَ أحدُنا خاليًا؟، قالَ:" فاللَّهُ أحقُّ أن يُستحيا منهُ [منَ النَّاسِ] ".** (صحيح ابن ماجه: ١٥٧٢)

يا الله... النبي ﷺ يأمرنا بستر العورة في الخلوة حياءً من الله[1]. وهناك من النساء من تكشف عورتها، لا أقول عندما تكون بمفردها، ولكن أمام أعين الناس... **فأين الستر والحياء من الله؟!!**

وهنا أتوجه بالحديث إلى كل فتاة وامرأة متبرجة فأقول: أختاه عليك أن تستري نفسك وتلتزمي بحجابك:

عملًا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٩) فالحجاب الساتر؛ حاسم لمطامع الطامعين وحافظ من كيد الفاسقين.

بل انظري أختاه... إلي هذه المرأة السوداء، إنها امرأة من أهل الجنة، جاء خبرها ***في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عطاء بن رباح قال: قالَ لي ابنُ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما–:*** **أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِن أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلتُ: بَلَى، قالَ: هذِه المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النبيَّ ﷺ، قالَتْ: إنِّي أُصْرَعُ وإنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قالَ:" إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ "، قالَتْ: أَصْبِرُ، قالَتْ: فإنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا ".**

سبحان الله...! هذه المرأة بشَّرها النبي ﷺ بالجنة لكن لم تُنْسها هذه البشارة أمرًا آخر وهو في غاية الخطورة، وهي أنها تخاف أن يظهر شيء من جسدها وهي تُصرع، وهذا عذر، فهي تصبر على المرض وآلامه، ولكنها لا تصبر على التكشُّف، فما بال اللاتي يكشفن عن أجسادهن بلا مرض ولا صرع ولا علة.

اللهم اهدِ نساء المسلمين

١ـ وهذا على الندب والكمال، وليس على ظاهره المفيد للوجوب.

فإلى كل فتاة وامرأة خلعت حجابها وعصت ربها... اقرئي هذا الحديث وعِيه جيدًا، وانظري أين أنت منه؟

أخرج الترمذي وأبو داود عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَن جرَّ ثوبَهُ خيلاءَ لم ينظُرِ اللَّهُ إليهِ يومَ القيامةِ، فقالَت أمُّ سَلمةَ: فَكيفَ يصنَعُ النِّساءُ بذيولِهِنَّ؟ قالَ:" يُرخينَ شبرًا، فقالت: إذًا تنكشفَ أقدامُهُنَّ، قالَ: فيُرخينَهُ ذراعًا، لا يزِدنَ علَيهِ ".** (صحيح الترمذي: ١٧٣١)

يا سبحان الله! الرسول يقول لأم سلمة يرخينه شبرًا، ولكنها تقول إن النساء لا تطيق هذا؛ لأن أقدامهن ستَتَكشَّفُ عند المشي، فلم ترضَ أن يُرْخى الثوب شبرًا، ولكن فتيات هذا الزمان رضين بهذا الشبر، ولكنه ليس شبرًا يجرجر في الأرض، ولكنه شبرًا فوق الركبتين.

لحد الركبتين تشمّرينا ... بربك أي نهر تعبرينا
كأن الثوب ظل في صباح ... يزيد تقلصًا حينًا فحينًا
تظنين الرجال بلا شعور ... أم لأنك ربما لا تشعرينا

أُختاه... لا أرضى لكِ أن تكوني من أهل النار- أعاذك الله منها-:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" صِنْفانِ مِن أهْلِ النَّارِ لَمْ أرَهُما، قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النَّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كَذا وكَذا ".**

والنساء الكاسيات العاريات هن اللاتي يلبسن ثيابًا شفافة أو ضيقة أو قصيرة لا تستر عوراتهن.

أُختاه... إذا كنت تجدين لذة في هذه الثياب العارية، أو التي تبرز مفاتن جسدك، وذلك لما تجدينه من نظر الناس إليك وإعجابهم بك، فتذكري نظر الله إليك، فلا تجعلي الله أهون الناظرين إليك.

وأقول لك أُختاه... كيف تهنئين بعيش آخره النار؟؟... فلا خير في لذة من بعدها النار.

أسأل الله أن يسترك في الدنيا والآخرة، وأن يعيذك من النار، ويجعل سكناك في أعلى الجنان

وأتوجه أيضًا بحديثي أيضًا إلى الأخوات المحجبات وأقول محذرًا: إياكنَّ وخلع الحجاب إلا في بيوتكن:

فقد أخرج أبو داود من حديث عن أبي المَليحِ الهُذَليِّ قال: **" إنَّ نساءً من حمصٍ[1] أو الشَّامِ دخَلنَ على عائشةَ -رضي اللَّه عنها- فقالت: أنتنَّ اللَّاتي تدخلنَ نساءكنَّ الحمَّاماتِ [2] سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ:" ما من امرأةٍ تضعُ ثيابَها في غيرِ بيتِ زوجِها إلَّا هتَكَتِ السِّترَ بينَها وبينَ ربِّها ".**

(صحيح أبي داود: ٤٠١٠)

١- حِمْصُ: مَدينةٌ بالشامِ، والشَّامُ: تقَعُ في الشَّمالِ مِن الجزيرةِ العربيةِ، وتضُمُّ حاليًا: سُوريَةَ والأُرْدنَ، وفِلَسطينَ ولُبنانَ.
٢- الحَمَّامُ: مَوضِعُ الاغتِسالِ بالماءِ الحارِّ، ثمَّ قِيلَ لموضِعِ الاغتِسالِ بأيِّ ماءٍ كان، والمرادُ بها: أماكنُ الاستِحمامِ العامَّةُ.

وقوله ﷺ:" ما مِن امرأةٍ تضَعُ ثِيابَها في غيرِ بَيتِ زَوجِها"، أي: تَتخفَّفُ مِن ثِيابِها وتَنْزِعُ مَلابِسَها،" إلَّا هتَكَتِ السِّترَ بيْنَها وبيْنَ ربِّها"، أي: قطَعَتْ ومَزَّقَتْ ما بيْنها وبيْن اللهِ مِن السِّترِ والحَياءِ والصِّلَةِ، وفي هذا تحذيرٌ شَديدٌ مِن هذا الفِعلِ ونهْيٌ عنه، والمرادُ بهذا النَّهيِ: هو أنْ يكونَ خَلْعُها لثيابِها في مواطِنَ يُخشَى منها الفِتنةُ، وعدمُ الأمْنِ.

٣- ومن صور الستر: ستر الصدقات. (وهو ما يعرف بصدقة السر):

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٤)

وقال تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ (إبراهيم: ٣١)

أ - صدقة السر من أسباب رحمة الله تعالى:

فقد أخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " صنائعُ المعروف تقي مَصارعَ السُّوء، وصدقة السرِّ تطفئُ غَضَبَ الربِّ، وصلة الرحم تزيدُ في العُمْر ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٨٨٩) (صحيح الجامع: ٣٧٩٧)

ب- صدقة السر تقي حر شمس يوم القيامة:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " سبعةٌ يظلهُمُ الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلهُ: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله ﷻ، ورجل قلبهُ معلق بالمساجد، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخافُ الله، ورجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شمالُهُ ما تنفق يمينهُ، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه ".

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في" فتح الباري: ٢/١٧٢": المقصود منه المبالغةُ في إخفاء الصدقة، بحيث أن شِمالَه مع قُربها من يمينه وتلازُمهما لو تُصوِّر أنها تَعْلَمُ لما علمت ما فعلت اليمنى لشدة إخفائها ".

وقال الإمام النووي-رحمه الله-: " وفي هذا الحديث فضلُ صدقة السرِّ، قال العلماء: وهذا في صدقة التطوع، فالسرُّ فيها أفضلُ لأنه أقربُ إلى الإخلاص وأبعدُ من الرياء، وأما الزكاةُ الواجبة فإعلانها أفضل"

جـ- والطاعات والقربات؛ ومنها الصدقة بمثابة ستْرٍ لصاحبها من النار:

ففي الحديث: " مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ ". (رواه مسلم).

٤- ومن صور الستر: الستر عند تغسيل الميت:

فقد أخرج الحاكم والبيهقي بسند صحيح من حديث أبي رافع ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" من غسَّل مسلمًا، فكتم عليه، غفر الله له أربعين مرَّة[١]، ومن حفر له فأجنَّه[٢] أجرى عليه كأجر مسكن أسكنه إياه إلى يوم القيامة، ومن كفّنه كساه الله يوم القيامة من سندس وإستبرق الجنة ".**

(صححه الألباني في أحكام الجنائز ص:٥١) (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٩٢)

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"من غسَّل ميتًا فستره[٣]، ستَره اللهُ من الذنوب[٤]، ومن كفَّنَه، كساه اللهُ من السندس ".** **(صحيح الجامع: ٦٤٠٣) (الصحيحة: ٢٣٥٣)**

وهذا الثواب المذكور في الحديث مشروط بشرط الكتمان والستر على الميت، فلا يُحَدِّث بما قد يراه مكروهًا منه مما يعاب عليه، كوصف بدنه، أو تغير لونه، ورائحته، أو ظهور ما تشمئز منه النفس، أو غير ذلك من أسرار الميت، وأن يكون الغسل موافقًا للسنة، وأن يبتغي بهذا الغسل وجه الله تعالى ".

(انظر بذل المعروف ص:٨٦ للشيخ عبد اللطيف الغامدي)

٥- ومن صور الستر: ألَّا تصف المرأةُ امرأةً أخرى لزوجها:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها[٥] لزوجها كأنه ينظر إليها ".**

وهذا للأسف ينتشر بين المسلمات، فلا ينبغي أن تصف المرأةُ امرأةً أخرى لزوجها، وتكشف سترها.

٦- ومن صور الستر: عدم إفشاء أسرار الفراش التي تكون بين الزوجين:

فعلى المسلم أن يستر ما يدور بينه وبين زوجته من أسرار الفراش، فلا يتحدث بما يحدث بينها وهذه من الأمانة التي لا يجوز للمرء أن يخونها بكشفها، وإنما عليه أن يستر ما يحدث بينه وبين أهل بيته.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ **أن رسول الله ﷺ صلَّى، فلما سلَّم أقبل عليهم بوجهه، فقال: مجالسكم، هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره، ثم يخرج فيحدث، فيقول: فعلت بأهلي كذا، وفعلت بأهلي كذا؟، فسكتوا، فأقبل على النساء، فقال:" هل منكن من تحدث؟" فجثت فتاة كعاب[٦] على إحدى ركبتيها وتطاولت؛ ليراها رسول الله ﷺ، وليسمع كلامها، فقالت: إي والله، إنهم يتحدثون وإنهن ليتحدثن، فقال:" هل تدرون ما مثل من فعل ذلك؟ إن مثل من فعل ذلك، مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسكة، فقضى حاجته منها، والناس ينظرون إليه ".**

(صحيح الجامع :٧٠٣٧).

١- جاء في بعض الروايات:" غفر الله له أربعين كبيرة" وقد حكم الألباني-رحمه الله- على هذه اللفظة بالشذوذ.
٢- أجنَّه: أي ستره في القبر.
٣- ستره: أي ستر عورته، أو ستر ما بدا منه من علامة رديئه. (التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي:٤٣٢/٢)
٤- ستَره اللهُ من الذنوب: إما بمحو ذنبه فلا يسأله، أو يسأله من غير أن يطلع عليه أحد، ثم يعفو عنه، أي لا يفضحه بإظهارها يوم القيامة. (المصدر السابق)
٥- فتنعتها: أي تصفها.
٦- كعب : هي المرأة حين يبدو ثديها للنهود.

- ***وفي لفظ عند الإمام أحمد من حديث أسماء بنت يزيد -رضي الله عنها-:*** " أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود، فقال ﷺ: لعل رجلًا يقول ما يفعله بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها، فأرَم القوم[1]، فقلت: إي والله يا رسول الله إنهن ليفعلن، وإنهم ليفعلون، قال:" فلا تفعلوا فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ مِن أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَومَ القِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إلى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا.

- ***وفي رواية:*** " من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة؛ الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرَّها ".

قال النووي-رحمه الله- كما في" شرح مسلم:٣/ ٦١٠": " في هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل أو نحوه، ولقد مدح الله المؤمنات بقوله: ﴿الصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء: ٣٤)

وقوله ﷺ:" الرَّجُلَ يُفْضِي إلى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ": وهو كنايةٌ عنِ المُعاشَرةِ والمُلامَسةِ الَّتي تكونُ بينَ الزَّوجَينِ، والمرادُ به هنا: كلُّ ما يخُصُّ أسْرارَ الزَّوجيَّةِ، وما أودَعَه الزَّوجُ إلى الآخَرِ، ثُمَّ إنَّ الرَّجلَ بعدَ هذا يَنشُرُ سِرَّها، والمُرادُ بِه ما يَكونُ مِن عُيوبِ البَدنِ الباطِنةِ، ويَحتمِلُ أنَّ المرادَ وَصفُ ما يَجْري بينَ الزَّوجَينِ من أُمورِ الاستِمْتاعِ وما يَجْري منَ المرأةِ من قَولٍ أو فِعلِ حالةِ الجِماعِ، وهَذا وَعيدٌ شَديدٌ، وتَحْذيرٌ لمَن يُفْشي سرَّ زَوجِه. (الدرر السنية)

٧- ومن الستر: عدم التجسس على الآخرين:

حماية للأعراض نهى الإسلام عن التجسس والتحسس على الآخرين بحثًا عن عيوبهم وعوراتهم، فإن هذا مفسد للدين، مخالف لشرع رب العالمين. **حيث قال تعالى:** ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾

وأخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: خرجت مع عمر ﷺ ليلة في المدينة، فبينما نحن نمشي إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه[2] فلما دنونا منه إذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولغطٌ، فأخذ عمر بيدي وقال: أتدري من هذا؟ قلت: لا، فقال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شرب فما ترى؟ قلت: أرى أنَّا قد أتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (الحجرات: ١٢)، فرجع عمر ﷺ وتركهم.

١- يعنى سكتوا ولم يجيبوا.
٢- أي: نقصده.

٨- ومن صور الستر: ستر المسلم على أخيه المسلم:

من المعلوم أن كل ابن آدم خطاء[١]، وليس من أحدٍ إلاَّ وله خطأ لا يحب أن يَطَّلِع عليه أحد من الناس، ولذلك كان السَّتْر على الناس خلق وهدي نبوي، لما فيه من حفظ عورات الْمسلمين وسترهم، والإمساك عما يسوؤهم، وبهذا تسود المحبة، وينتشر حسن الظن بين الناس، وتُحفظ الأخوة بينهم، فالمؤمن لا يفضح بل يستُر وينصَح.

وقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى والقدوة الصالحة في الستر، ورغَّب فيه بسُنته وسيرته، فقد كان حريصًا على كتم الزلات، وإذا رأى شيئًا يكرهه من أصحابه عرَّض فقال:" **ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، أو: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا** ". (أخرجه البخاري ومسلم).

- **وكان من هديه ﷺ إذا جاءه من يقرُّ بذنب، أعرض عنه حتى يكرر السؤال، ثم يلقنه الحجة في رفع الحد عنه، لعله يذهب فيتوب ويستر على نفسه.**

١- فهذا ماعز بن مالك الأسلمي ﷺ أتى رسول الله ﷺ، فأقر بالزنا[٢]، والنبي ﷺ يحاول أن يجد له مخرجًا؛ **فقال له:**" **لعلك قبَّلت، أو غمزت، أو نظرت**"، وردَّه النبي ﷺ مرارًا، حتى أقر في الرابعة فأقام عليه الحد ". (والحديث بتمامه في الصحيحين)

- ***وفي رواية عند أبي داود وأحمد والنسائي في" السنن الكبرى":*** **أنه بلغ النبي ﷺ أن هزَّالًا بن يزيد الأسلمي هو الذي أشار على ماعز الأسلمي بالاعتراف لإقامة الحَدِّ عليه، فدعاه النبي ﷺ وقال له:" لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ** ". (صحيح الجامع:٧٧٩٠).

قال أبو الوليد الباجي –رحمه الله–: وقوله ﷺ لهَزَّال:" **يا هَزَّال! لو سَتَرْته بردائك كان خيرًا لك**"، يريد: ممَّا أظهرته من إظهار أمره، فكان ستْره بأن يأمره بالتَّوبة، وكتمان خطيئته، وإنَّما ذكر فيه الرِّداء على وجه المبالغة، بمعنى أنَّه لو لم تجد السَّبيل إلى سِتْره إلَّا بأن تَسْتُره بردائك ممَّن يشهد عليه، لكان أفضل ممَّا أتاه، وتسبَّب إلى إقامة الحدِّ عليه".

وقال ابن الأثير–رحمه الله–: " **ألَا سَتَرْته بثوبك يا هَزَّال**"، إنما قال ذلك حُبًّا لإخفاء الفضيحة، وكراهيةً لإشاعتها ". (انظر شرح سنن أبي داود لابن رسلان:١٦/ ١٦٦).

١- فقد أخرج الترمذي وأحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ ".

٢- وقد رواه الإمام مسلم من حديث عن بُريدةَ بنِ الحُصَيب ﷺ قال: جاء ماعزُ بنُ مالكٍ ﷺ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ! طَهِّرْني. فقال: ويحك! ارجِعْ فاستغفِرِ اللهَ وتُبْ إليه. قال: فرجَع غيرَ بعيدٍ، ثمَّ جاء فقال: يا رسولَ اللهِ طَهِّرْني، فقال النَّبيُّ ﷺ مِثلَ ذلك حتَّى إذا كانت الرَّابعةُ قال له رسولُ اللهِ ﷺ: فيمَ أُطَهِّرُك؟ فقال: من الزِّنا. فسأل رسولُ اللهِ ﷺ: أبه جنونٌ؟ فأُخبِرَ أنَّه ليس بمجنونٍ. فقال: أشربَ خمرًا؟ فقام رجلٌ فاستَنْكَهَه، فلم يجِدْ منه ريحَ خَمرٍ. قال: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أزنيتَ؟ فقال: نعم. فأمَرَ به فرُجِمَ.

- وفي روايةٍ عن نُعَيمِ بنِ هَزَّالٍ: أنَّ هَزَّالًا كان استأجَر ماعِزَ بنَ مالِكٍ، وكانت له جاريةٌ يُقالُ لها: فاطِمةُ، قد أملَكَت، وكانت ترعى غَنَمًا لهم، وأنَّ ماعِزًا وقَع عليها، فأخبَرَ هَزَّالًا فخدَعه، فقال: انطلِقْ إلى النَّبيِّ ﷺ فأخبِرْه، عسى أن ينزِلَ فيك قرآنٌ، فأمَرَ به النَّبيُّ ﷺ فرُجِم، فلمَّا عضَّته مسُّ الحِجارةِ انطلَق يسعى، فاستقبَلَه رجُلٌ بلَحْيِ جَزورٍ- أو ساقِ بَعيرٍ- فضرَبه به فصرَعه، فقال النَّبيُّ ﷺ:" ويلَك يا هَزَّال، لو كنْتَ ستَرْتَه بثوبِك كان خيرًا لك!. (أخرجه أبو داود، وأحمد واللفظ له).

(صحيح الجامع:٧٩٩٠) (وصحَّحه لغيره شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود:٧٩٩٠).

لحْيُ الإنسانِ والدَّابَّةِ: العظمُ الذي تَنبُتُ عليه اللِّحْيةُ. (جمهرة اللغة لابن دريد:١/ ٥٧٢). والجَزورُ من الإبِلِ يقَعُ على الذَّكرِ والأنثى. (مختار الصحاح لزين الدين الرازي ص: ٥٧).

وقال الحافظ ابن حجر–رحمه الله–:" قال ابن عبد البر: وفي هذا الحديث من الفقه: أن الستر أولى بالمسلم على نفسه إذا وقع حدًّا من الحدود من الاعتراف به عند السلطان، وذلك مع اعتقاد التوبة والندم على الذنب، وتكون نيته ومعتقده ألا يعود، فهذا أولى به من الاعتراف؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده، ويحب التوابين ". وعن عثمان بن أبي سودة، قال: لا ينبغي لأحد أن يهتك ستر الله، قيل: وكيف يهتك ستر الله؟ قال: يعمل الرجل الذنب فيستره الله عليه فيذيعه في الناس، قال ابن بطال: في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف؛ لأن المعاصي تذل أهلها، ومن إقامة الحد عليه إن كان فيه حد، ومن التعزير إن لم يوجب حدًّا، وإذا تمحض حق الله، فهو أكرم الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه؛ فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة، والذي يجاهر يفوته جميع ذلك ". (فتح الباري:١٠/٤٨٧).

– *وفي إحدى روايات حديث ماعز عند البيهقي وغيره* إنه جاء إلى أبي بكر الصديق ﷺ فقال: إن الآخر زنى (يريد نفسه)، فقال له أبو بكرﷺ: هل ذكرت هذا لأحد غيرى؟ فقال: لا، قال أبو بكرﷺ: فتب إلى الله واستتر بستر الله؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده، فلم تقرَّه نفسُه حتى أتى عمر بن الخطاب ﷺ، فقال له كما قال لأبي بكر ﷺ، فقال له عمر كما قال له أبو بكر– رضي الله عنهما–، فلم تقرَّه نفسُه حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال: إن الآخر زنى (يريد نفسه)، قال سعيد: فأعرض عنه رسول الله ﷺ مرارًا، كل ذلك يعرض عنه حتى إذا أكثر عليه بعث إلى أهله، فقال:" أيشتكي به جنة؟"، فقالوا: والله إنه لصحيح، فقال رسول الله ﷺ:" أبكر أم ثيب؟"، فقالوا: بل ثيب، فأمر به رسول الله ﷺ فرجم، والنبي ﷺ لما بلغه أن هزالًا الأسلمي هو الذي أشار على ماعز بالاعتراف، دعاه ثم قال:" يا هزال، لو سترته بثوبك، كان خيرًا لك مما صنعتَ به". (صححه الألباني في الصحيحة)

– وعندَما جاء ماعِزُ بنُ مالِك الأسلَميُّ ﷺ إلى رسولِ اللهِ ﷺ واعتَرَف على نَفسِه بالزِّنا، وسأله أن يُقيمَ عليه الحدَّ ليُطهِّرَه، وأمَر النَّبيُّ ﷺ برَجمِه؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يسألْه معَ مَن زنَيتَ، وكذلك المرأةُ الغامِديَّةُ[1] التي زَنَت في عهد النبي ﷺ وأقرَّت على نَفسِها، فإنه ﷺ أعرض عنها ولم يفرح بخبرها.. ولما أصرّت وألحّت على النبي ﷺ تريد تطهير نفسها.. فلم يسألها ﷺ كم مرة فعلت الزنا، بل لم يسألها من هو الذي زنى بك.. وتمنى أنها لو استترت بستر الله.

٢ – *وأخرج الحاكم في مستدركه والبيهقي من حديث عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– قال:*" أنَّ رسول الله ﷺ قام بعد أنْ رجَم الأسْلَميَّ فقال: اجتنِبوا هذه القاذوراتِ التي نهى اللهُ تعالى عنها، فمن ألَمَّ بشيءٍ منها فلْيستتِرْ بسِترِ اللهِ، ولْيَتُبْ إلى اللهِ، فإنه من يُبدِ لنا صفحتَه، نُقِمْ عليه كتابَ اللهِ ".

(صحيح الجامع: ١٤٩) (السلسلة الصحيحة :٦٦٣) (صحيح الترغيب: ٢٣٩٥)

---

١ ـ والحديث رواه الإمام مسلم عن بُريدةَ بنِ الحُصَيبِ ﷺ قال: ثمَّ جاءته امرأةٌ من غامِدٍ من الأزْدِ، فقالت: يا رسولَ اللهِ! طَهِّرْني. فقال: ويحَكِ! ارجِعي فاستغفري اللهَ وتوبي إليه. فقالت: أراكَ تريدُ أن تردُدَني كما رَدَدْتَ ماعِزَ بنَ مالكٍ! قال: وما ذاك؟ قالت: إنَّها حبلى من الزِّنا. فقال: آنتِ؟ قالت: نعم. فقال لها: حتى تضعي ما في بطنِك، قال: فكفَلَها رجلٌ من الأنصارِ حتَّى وضَعَت.... وأقام عليها النبي ﷺ الحد بعد ما فطمت الرضيع.

٣- ***وأخرج الإمام أَحْمَدُ وأبو داود وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:*** " **مَنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً** ". (ضعفه بعض أهل العلم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب:٢٣٣٧)

وقوله ﷺ:" **مَنْ رَأَى عَوْرَةً** ": وَهِيَ مَا يَكْرَهُ الْإِنْسَانُ ظُهُورَهُ، فَالْمَعْنَى مَنْ عَلِمَ عَيْبًا أَوْ أَمْرًا قَبِيحًا فِي مُسْلِمٍ " **فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا**" أَيْ: كَانَ ثَوَابُهُ كَثَوَابِ مَنْ أَحْيَا" **مَوْءُودَةً** ": بِأَنْ رَأَى أَحَدٌ أَحَدًا يُرِيدُ وَأْدَ بِنْتٍ فَمَنَعَ أَوْ سَعَى فِي خَلَاصِهَا وَلَوْ بِحِيلَةٍ، وَقَالَ الْمُظْهِرُ: بِأَنْ رَأَى حَيًّا مَدْفُونًا فِي قَبْرٍ فَأَخْرَجَ ذَلِكَ الْمَدْفُونَ مِنَ الْقَبْرِ كَيْ لَا يَمُوتَ، وَوَجْهُ تَشْبِيهِ السَّتْرِ عَلَى عُيُوبِ النَّاسِ بِإِحْيَاءِ الْمَوْءُودَةِ أَنَّ مَنِ انْتَهَكَ سِتْرَةً يَكُونُ مِنَ الْخَجَالَةِ كَمَيِّتٍ إِذْ يُحِبُّ الْمَوْتَ مِنْهَا، فَإِذَا سَتَرَ أَحَدٌ عَلَى عَيْبِهِ، فَقَدْ دَفَعَ عَنْهُ الْخَجَالَةَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَوْتِ.

محبة السلف الصالح للستر والحرص عليه:

وعلى هذا المنهج الراقي تربى الصحابة في مدرسة النبي ﷺ فستروا ما ظهر لهم من عيوب الناس.

١- ***فهذا أبو بكر الصديق ﷺ يقول:*** " **لوْ لمْ أجِدْ للسارق والزاني وشارب الخمر إلا ثوبي لأحببت أن أستره عليه** ". (مصنف عبد الرزاق).

- ***وقال أبو بكر ﷺ:*** " **لو أخذتُ سارقًا لأحببتُ أن يستره الله، ولو أخذتُ شاربًا لأحببت أن يستره الله عز وجل** ". (رواه ابن أبي شيبة في مصنفه والخرائطي في مكارم الأخلاق).

٢- ***وقد مر بنا في الحديث الذي أخرجه البيهقي في قصة ماعز الأسلمي ﷺ*** **أنه جاء إلى أبي بكر الصديق ﷺ فاعترف على نفسه بالزنى، فقال له أبو بكر ﷺ: هل ذكرت هذا لأحد غيرى؟ فقال: لا، قال أبو بكر: فتب إلى الله واستتر بستر الله؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده، فلم تقرَّه نفسُه حتى أتى عمر بن الخطاب ﷺ، فقال له كما قال لأبي بكر ﷺ، فقال له عمر كما قال له أبو بكر -رضي الله عنهما- فلم تقرَّه نفسُه حتى أتى رسول الله ﷺ...**". الحديث

٣- ***وبَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ شُرَحْبِيلَ بْنَ السَّمْطِ قِبَلَ أَرْضٍ، فَقَامَ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ:*** **إِنَّكُمْ قَدْ نَزَلْتُمْ أَرْضًا كَثِيرَةَ النِّسَاءِ وَالشَّرَابِ، فَأَعْزَمَ عَلَى رَجُلٍ أَتَى حَدًّا إِلا قَامَ حَتَّى أُطَهِّرَهُ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ ﷺ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ:" أَنْتَ الَّذِي تَأْمُرُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَهْتِكُوا سَتْرَ اللَّهِ الَّذِي سَتَرَهُ. ثُمَّ قَالَ عُمَرُ:" لا تَهْتِكْ سِتْرًا سَتَرَهُ اللَّهُ ".**

٤- ***وقال المعرورُ بنُ سُوَيدٍ -رحمه الله-:*** " **أُتِي عُمرُ بامرأةٍ راعِيةٍ زنَت، فقال عُمرُ: وَيحَ المُرَيَّةِ! أذهَبَت حَسَبَها! اذهَبا فاضرِباها، ولا تخرِقا جِلدَها، إنَّما جعَل اللهُ أربعةَ شُهداءَ سِترًا ستركم به دونَ فواحِشِكم؛ فلا يَطَّلِعَنَّ سَترَ اللهِ منكم أحدٌ، ولو شاء لجعَله رجُلًا صادِقًا أو كاذِبًا** ".

(رواه عبد الرزاق) (أبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه).

٥- ***وفي تفسير الطبري عن عامر قال:*** " أتى رجلٌ عمرَ ﷺ فقال: إن ابنةً لي كانت وُئِدت في الجاهلية فاستخرجْتُها قبل أن تموت، فأدْرَكَت الإسلام، فلما أسلمت أصابت حدًا من حدود الله، فعمدتْ إلى الشفرة لتذبح بها نفسها، فأدركتُها وقد قطعت بعض أوداجها [١]، فداويتُها حتى برِئت، ثم إنها أقبلت بتوبة حسنة، فهي تُخْطَبُ إليّ يا أمير المؤمنين، فأخبر من شأنها بالذي كان؟ فقال عمر ﷺ: أتُخْبِرُ بشأنها؟! تعْمَد إلى ما ستره الله فتبديه؟ والله لئن أخبرتَ بشأنها أحدًا من الناس لأجعلنك نكالًا لأهل الأمصار، بل أنكحها [٢] نكاح العفيفة المسلمة".

٦- ***وقال عبدُ اللهِ بنِ مسعودٍ ﷺ:*** " ثلاثٌ أحلِفُ عليهنَّ، والرَّابِعةُ لو حلَفْتُ لبَرِرْتُ: لا يجعَلُ اللهُ مَن له سَهمٌ في الإسلامِ كمَن لا سَهمَ له، ولا يتولَّى اللهَ عبدٌ في الدُّنيا فولَّاه غَيرَه يومَ القِيامةِ، ولا يُحِبُّ رجُلٌ قومًا إلَّا جاء معَهم يومَ القِيامةِ، والرَّابِعةُ التي لو حلفْتُ عليها لبَرِرْتُ: لا يستُرُ اللهُ على عبدٍ في الدُّنيا إلَّا ستَرَ عليه في الآخِرةِ ". (رواه عبد الرزاق) (وأبو نعيم في حلية الأولياء:١/١٣٧) (والبيهقي في شعب الإيمان:٩٠١٢).

٧- ***وقال أبو هريرة ﷺ:*** " من أطفأ على مؤمن سيئة، فكأنما أحيا موءودة ". (رواه ابن أبي شيبة في مصنفه).

٨- ***وكان لعقبة بن عامر ﷺ كاتب.. وكان جيران هذا الكاتب يشربون الخمر؛ فقال يومًا لعقبة:*** إنَّ لنا جيرانًا يشربون الخمر. وسأخبر الشرط ليأخذوهم. فقال عقبة:" لا تفعل. عِظْهُمْ. فقال الكاتب: إني نهيتهم فلم ينتهوا. وأنا داعٍ لهم الشرط ليأخذوهم. فقال عقبة: ويحك. لا تفعل؛ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: " من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة ". (رواه أبو داود).

٩- ***وقال الحَسَنُ البَصريُّ-رحمه الله-:*** " مَن كان بَينَه وبَينَ أخيه سِترٌ فلا يكشِفْه ".

(مكارم الأخلاق للخرائطي ص: ١٤٩).

١٠- ***وعن علام بن مسكين-رحمه الله- قال:*** سأل رجل الحسن البصري فقال:" يا أبا سعيد! رجل عَلِمَ من رجل شيئًا، أيفشي عليه؟ قال: يا سبحان الله! لا ". (المصدر السابق ص:٤٨٩)

١١- ***وقال العَلاءُ بنُ بَدرٍ-رحمه الله-:*** " لا يُعذِّبُ اللهُ عزَّ وجلَّ قومًا يستُرونَ الذُّنوبَ ".

(المصدر السابق ص: ١٥٣).

١٢- ***وقد مر بنا قول شُبَيلِ بنِ عَوفٍ الأحمَسيِّ-رحمه الله-:*** " كان يُقالُ: مَن سمِع بفاحِشةٍ فأفشاها، فهو فيها كالذي أبداها ". (صحيح الأدب المفرد:٢٤٨).

١٣- ***وقال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ-رحمه الله-:*** " المُؤمِنُ يستُرُ ويعِظُ وينصَحُ، والفاجِرُ يهتِكُ ويُعيِّرُ ويُفشي"

(حلية الأولياء لأبي نعيم:٨/ ٩٥).

١- أوداجها: عروقها.
٢- أنكحها: زَوِّجْها.

١٤- ***وقال عبدُ اللهِ بنِ المُبارَكِ-رحمه الله-:***" كان الرَّجلُ إذا رأى مِن أخيه ما يكرَهُ أمَرَه في سَترٍ، ونهاه في سَترٍ، فيُؤجَرُ في سَترِه، ويُؤجَرُ في أمره ونَهيِه، فأمَّا اليومَ فإذا رأى أحدٌ مِن أحدٍ ما يكرَهُ استغضَب أخاه، وهتَك سِترَه ". (روضة العقلاء لابن حبان:١/١٩٦).

١٥- ***وقال ميمون-رحمه الله-:***" من أساء سرًّا، فليتب سِرًّا، ومن أساء علانيةً، فليتب علانيةً، فإن الناس يعيرون ولا يغفرون، والله يغفر ولا يُعيِّر ". (سير أعلام النبلاء:٩/٨١)

١٦- ***وقال عُبَيدُ اللهِ بنُ عبد الكريمِ الجيليُّ-رحمه الله-:***" مَن رأَيتَه يطلُبُ العَثَراتِ على النَّاسِ فاعلَمْ أنَّه معيوبٌ، ومَن ذكَر عَوراتِ المُؤمِنينَ فقد هتَك سِترَ اللهِ المُرخى على عِبادِه ".

(التوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ ص: ١٠١).

١٧- ***وقال الضِّياءُ بنُ الأثيرِ-رحمه الله-:***" ليس الصَّديقُ مَن عدَّ سَقَطاتِ قرينِه، وجازاه بغثِّه وسمينِه، بل الصَّديقُ مَن ماشى أخاه على عَرَجِه، واستقام له على عِوَجِه، فذلك الذي إن رأى سيِّئةً وطِئَها بالقَدَمِ، وإن رأى حَسنةً رفَعها على عَلَمٍ ". (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:١/ ١٢٥).

١٨- ***وقال العِزُّ بنُ عبدِ السَّلامِ-رحمه الله-:***" المُبالَغةُ في سَترِ العَوراتِ مِن أشرَفِ المُروءاتِ ".

(شجرة المعارف والأحوال ص: ٣٠٦).

١٩- ***وقال بكر بن عبد الله-رحمه الله-:***" ما عليك أن تُنزل الناس منزلة أهل البيت، فتنزل من كان أكبر منك منزلة أبيك، وتنزل من كان منهم قرينك منزلة أخيك، وتنزل من كان أصغر منك منزلة ولدك، فأي هؤلاء تحب أن يُهتَك سترُه؟".(مداراة الناس لابن أبي الدنيا ص:٤٥)

٢٠- ***وقال ابنُ رَجبٍ-رحمه الله-:***" رُوِي عن بعضِ السَّلفِ أنَّه قال: أدركْتُ قومًا لم يكنْ لهم عُيوبٌ، فذكَروا عُيوبَ النَّاسِ؛ فذكَر النَّاسُ عُيوبَهم، وأدركْتُ أقوامًا كانت لهم عُيوبٌ، فكفُّوا عن عُيوبِ النَّاسِ؛ فنُسِيَت عُيوبُهم ". (جامع العلوم والحكم:٢/٢٩١).

٢١- ***وقال ابنُ القيِّمِ-رحمه الله-:***" وأمَّا اكتِفاؤُه في القَتلِ بشاهِدَينِ دونَ الزِّنا، ففي غايةِ الحِكمةِ والمصلَحةِ؛ فإنَّ الشَّارِعَ احتاط للقِصاصِ والدِّماءِ، واحتاط لحدِّ الزِّنا، فلو لم يقبَلْ في القَتلِ إلَّا أربعةً لضاعت الدِّماءُ، وتواثَب العادونَ، وتجرَّؤوا على القَتلِ، وأمَّا الزِّنا فإنَّه بالَغ في سَترِه، كما قدَّر اللهُ سَترَه، فاجتمَع على سَترِه شَرعُ اللهِ وقَدَرُه، فلم يقبَلْ فيه إلَّا أربعةً يصِفونَ الفِعلَ وَصفَ مُشاهَدةٍ ينتفي معها الاحتِمالُ، وكذلك في الإقرارِ لم يكتَفِ بأقلَّ مِن أربَعِ مرَّاتٍ؛ حِرصًا على سَترِ ما قدَّر اللهُ سَترَه، وكَرِهَ إظهارَه والتَّكلُّمَ به، وتوعَّد مَن يُحِبُّ إشاعتَه في المُؤمِنينَ بالعذابِ الأليمِ في الدُّنيا والآخِرةِ ".

(إعلام الموقعين:٢/٥٠).

- ***وقال أيضًا:*** " للعَبدِ سِترٌ بَينَه وبَينَ اللهِ، وسِترٌ بَينَه وبَينَ النَّاسِ؛ فمَن هتَك السِّترَ الذي بَينَه وبَينَ اللهِ هتَك اللهُ السِّترَ الذي بَينَه وبَينَ النَّاسِ". (الفوائد:٣١/١).

٢٢- ***وقال أبو البَركاتِ الغَزِيُّ العامِرِيُّ-رحمه الله- في كلامِه عن آدابِ العِشرةِ بَينَ المُسلِمينَ:*** " ومنها: الاجتِهادُ في سَترِ عَوراتِ الإخوانِ وقبائِحِهم، وإظهارِ مناقِبِهم، وكونِهم يدًا واحِدةً في جميعِ الأوقاتِ ".
(آداب العشرة:٥٣/١).

٢٣- ***وقال الحَصْكَفيُّ -رحمه الله-:*** " اللَّئيمُ يفضَحُ، والكريمُ يُصلِحُ ". (الدر المختار شرح تنوير الأبصار ص: ٨).

ومن فضل وفوائدِ السِّترِ على النفس والآخرين:

١- نَشرُ المحبَّةِ والأُلفةِ بَينَ المُؤمِنينَ.

فإذا ستر المسلم غيره إذا أذنب، فهذه علامة على محبته له؛ حيث ستر عيبه وأراد منه التوبة، وأعرض عن فضيحته، وهذا سبب في تآلف القلوب، وانتشار حسن الظن بين المؤمنين، فتحفظ الأمة ترابطها وبنيانها، وعلى العكس فمن فضح أخاه المسلم دلّ على كرهه له وإرادة السوء به، والتشهير به، ومن ثَم تتنافر القلوب، وتنتشر البغضاء بين الناس.

٢- أنَّه يُعينُ العاصيَ على أن يتدارَكَ نَفسَه، ويتوبَ إلى اللهِ توبةً نصوحًا، وبالعكس؛ فلو فضَح وشهَّر به لكان في هذا إعانةٌ للشَّيطانِ عليه؛ حيثُ يدفَعُه إلى مَزيدٍ مِن المعاصي والآثامِ.

٣- **الستر يحفظ كيان المجتمع:** لأنَّ فَضحَ النَّاسِ؛ وخاصَّةً أهلَ الفَضلِ منهم إن بدَت منهم زلَّةٌ أو هَفوةٌ، قد يُجرِّئُ كثيرًا مِن عوامِّ النَّاسِ ومرضى القلوب على المعاصي.

٤- **فالستر من أرقى الطاعات وسبب في تزكية النفس، والفوز برضى اللهُ،** وسبيل أن يستُرَهُ في الدُّنيا والآخِرةِ. **كما أخبر رسول الله ﷺ فقال:** "من ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة ". (رواه مسلم).

٥- **صِيانةُ الأعراضِ مِن المِساسِ بها أو الطَّعنِ فيها.**

٦- **السِّترُ يُعوِّدُ الإنسانَ أن يكونَ أمينًا حينَ يستُرُ غَيرَه ويحفَظُ سِرَّه.**

٧- **السِّترُ يُساعِدُ في الحدِّ مِن تداعي خَطرِ الجريمةِ؛** فإنَّ عَدمَ السَّترِ على بعضِ العُصاةِ يزيدُهم إصرارًا على المعصيةِ، وتكبُّرًا عن الرُّجوعِ عنها.

٨- **يُساعِدُ على انشِغالِ الإنسانِ بعُيوبِ نَفسِه.**

٩- **التَّخلُّقُ بصِفةٍ يُحبُّها اللهُ تعالى، وهي السِّترُ.**

١٠- **وِقايةُ النَّفسِ مِن الأخلاقِ المذمومةِ**؛ كالسَّعيِ لإسقاطِ الآخَرينَ، وتعييرِهم والتَّشهيرِ بهم، وفَضحِهم والتَّنقُّصِ منهم. والستر على الصالحين دليل على شرف الطبع، أما فضحهم فدليل على خسة الطبع، وعدم الإنصاف والرحمة؛ إذ ليس من العدل أن يتغاضى عن حسناته كلها حتى إذا بدرت منه زلة فضحه، وكشف ستر الله الذي أرخاه على عبده.

قال ابن القيم-رحمه الله-:" ومِن النَّاسِ مَن طَبعُه طَبعُ خِنزيرٍ؛ يمُرُّ بالطَّيِّباتِ فلا يَلوي عليها، فإذا قام الإنسانُ عن رَجيعِه قمَّه[1]، وهكذا كثيرٌ مِن النَّاسِ؛ يسمَعُ منك، ويرى مِن المحاسِنِ أضعافَ أضعافِ المساوِئِ، فلا يحفَظُها ولا ينقُلُها، ولا تُناسِبُه، فإذا رأى سَقطةً أو كلمةً عَوراءَ، وجَد بُغيتَه وما يُناسِبُها، فجعَلها فاكِهتَه ونُقْلَه ". (مدارج السالكين:١/٤٠٦).

١١- **الشعور بالسعادة والطمأنينة:** فمن ستر على غيره يشعر بالسعادة والطمأنينة؛ لأنه فعل خيرًا، وستر مسلمًا، ويتذوّق طعم الإيمان عندما يستشعر معنى الحديث الذي مر بنا في الحديث:" **ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة** ". (أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-)

(انظر نضرة النعيم:٦/٢٢٥١)

فعلينا جميعاً أن نتخلق بهذا الخُلق الكريم:

وقد حثنا رب العالمين والنبي الأمين ﷺ أن نستر زلات الناس وعيوبهم، وألا نفضحهم. لكن خالف البعض منا فراح يتعمد كشف العورات، وهتك ماستر الله عن طريق أخبار الحوادث، ووسائل التواصل الاجتماعي. وتصوير السارق ونشر هذا على وسائل التواصل، وربما تاب هذا السارق لكن مازال هذا الفيديو يلاحقه ويسئ إليه وإلى أولاده وأهل بيته. أو يصور رجل أو امرأة وقعا في الفاحشة وينشر هذه الصور، أو الفيديوهات وهو يظن بذلك أنه أحسن صنعًا. فما أحوج أمتنا في عصر الفضائيات إلى ستر الزلات وإقالة العثرات.

فالستر علاج اجتماعي كبير.. حيث تختفي فيه كثير من أمراض المجتمع.

والسِّتْر يشيع المحبة في الناس. ويورث الساتر سعادة وسترًا في الدنيا والآخرة. ويُحمَدُ عليه صاحبه من الخالق والمخلوق.. فاستعن بالله على التحلي بهذه الفضيلة؛ فهي أغلى من الجوهرة النفيسة.

وحيث أن الجزاء من جنس العمل، فمن كان حريصًا على ستر المسلمين في هذه الدنيا إذا زلُّوا أو وقعوا في الهَفَوات، فإن الله تعالى يستره في موقف هو أشدُّ ما يكون احتياجًا إلى الستر والعفو حين تجتمع الخلائق للعَرْض والحساب.

١- قمَّه: قَمَّ الشَّيءَ قَمًّا: كنَسَه، وقمَّ الرَّجُلُ: أكلَ ما على الخِوانِ. (لسان العرب لابن منظور:١٢/٤٩٣)، (القاموس المحيط للفيروزآبادي:١١٥١).

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني في المعجم الكبير عن عَبَّاد بن بشر ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **مَنْ عَلِمَ مِنْ أَخِيهِ سَيِّئَةً فَسَتَرَهَا، سَتَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ".

وأخرج ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَن سترَ مُسلِمًا سترَهُ اللَّهُ في الدُّنيا والآخِرةِ** ". (صحيح ابن ماجه: ٢٠٧٨)

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ".

وقوله ﷺ:" **ومَن سَتَرَ مُسلِمًا**"، أي: رآهُ على قَبيحٍ فلم يُظهِرْه للناسِ، فيَكونُ جَزاؤُه أنْ يَستُرَه اللهُ في الدُّنيا، أي: يَستُرَ عَوْرتَه أو عُيوبَه، ويَستُرَه في الآخِرةِ عن أهْلِ المَوقِفِ. وهذا فِيمَن كان مَستورًا لا يُعرَفُ بشَيءٍ مِن المعاصي، فإذا وَقَعَت منه هفْوةٌ أو زَلَّةٌ، فإنَّه لا يَجوزُ هتْكُها ولا كشْفُها ولا التَّحدُّثُ بها، وليْس في هذا ما يَقْتضي تَرْكَ الإنكارِ عليه فيما بيْنه وبيْنه. (انظر فتح الباري:١١٧/٥)

قال المناوي-رحمه الله-: " وقوله ﷺ:" **وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا**" في الدنيا في قبيح فعله، فلم يفضحه بأنِ اطَّلع منه على ما يشينه [١] في دينه أو عِرْضِه أو ماله أو أهله فلم يهتكه ولم يكشفه بالتحدث، "**سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** " أي: لم يفضحه على رؤوس الخلائق بإظهار عيوبه وذنوبه، بل يسهل حسابه ويترك عقابه، لأن الله حَيي كريم، وستر العورة من الحياء والكرم ". اهـ

وأخرج ابن ماجه من حديث عبد الله بن عباس-رضي اله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته، حتى يفضحه بها في بيته** ". (صحيح الترغيب والترهيب:٢٣٣٨)

قال المنذري-رحمه الله- : "ستر المسلم هو تغطية عيوبه وإخفاء هنَّاته [٢] ".

وقال القاضي عِياضٌ-رحمه الله-:" يكونُ سَتْرُه له سَتْرَ عُيوبِه ومعاصيه عن إذاعتِها على أهلِ المَحشَرِ، وقد يكونُ تَرْكَ مُحاسَبتِه عليها وذِكرِها له. والأوَّلُ أظهَرُ ". (إكمال المعلم:٦١/٨).

هذا لمن أراد أن يفوز بستر الله عليه يوم القيامة.

١- يشينه: يعيبه.
٢- هنَّاته: أي زلاته وهفواته وقبائحه.

تنبيهات هامة خاصة بالستر:

فالمسلم إذا أراد أن يستر أخاه.. فإن هناك شروطًا لابد أن يراعيها عند ستره؛ حتى يحققَ السترُ الغرضَ المقصودَ منه.. وأهمُّ هذه الشروط:

١- أن تكون المعصية التي فعلها المسلم لا تتعلق بغيره ولا تضر أحدًا سواه.. أما إذا وصل الضرر إلى الناس فهنا يجب التنبيه على تلك المعصية لإزالة ما يحدث من ضرر.

٢- ألا يكون الستر وسيلةً لإذلالِ المستورِ واستغلاله وتعييره بذنوبه..

٣- ألا يمنع الستر من أداء الشهادة إذا طُلبت.. ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة:٢٨٣).

٤- الستر مرهونٌ برد المظالم.. فإذا لم تُرد فالساترُ شريكٌ للمستور عليه في ضياع حق الغير.

الستر وأقسام المذنبين:

والستر لا يكون في حق كل أحد، فالناس في هذا الشأن نوعان:

النوع الأول: ذوو الهيئات، وغير المعروفين بالفساد والأذى، وهؤلاء أحق الناس بالستر، طالما كانت معصيتهم ليس فيها ضرر للآخرين، فالستر في حقهم وسيلة للإصلاح والتوبة.

وقد أجمع العلماء على أن من اطلع على عيب أو ذنب أو فجور لمؤمن من ذوي الهيئات أو نحوهم ممن لم يُعرَف بالشر والأذى، ولم يشتهر بالفساد، ولم يكن داعيًا إليه، كأن يفْجُرَ متخوفًا متخفيًا غير متهتك ولا مجاهر يُندَب له أن يسترَه، ولا يكشفه للعامة أو الخاصة، ولا للحاكم أو غير الحاكم.

(الموسوعة الفقهية الكويتية: ٢٤/ ١٦٩)

وهذا معنى كلام النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والنسائي في" السنن الكبرى" من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: أَقِيلُوا ذَوِي الهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِم إلا الحدودَ ".

ومعنى ذَوِي الهَيْئَاتِ: أي: ذَوي الهَيْئاتِ الحَسَنَةِ، الَّذين لا يُعْرَفُون بالشَّرّ، ولا يرى الناس منهم إلا الصلاح والخير، وفي السّتر على هؤلاء فضلٌ عظيم كما مر بنا من قول النبي ﷺ:" **لاَ يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا، إِلاَّ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ". (رواه مسلم).

فالستر متعلق بمن كان مستورًا في نفسه فكبا به جواده، أو أدال عليه شيطانه، فمثل هذا يستر ولا يفضح ولا يعير ويغطى عيبه وتخفى هنته.

تنبيهات خاصة بهذه المسألة:

١- الستر على هؤلاء لا يعني تركَ مناصحتهم، بل يُنصحَون سرًّا، فإذا نصحه وأنكر عليه فلم ينتهِ عن المعصية، ثم جاهر بها جازت الشهادة عليه بذلك.

يقول النووي -رحمه الله- مميزًا بين موضع الستر وموضع الإنكار: " هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه، ومنعه منها على من قَدَر على ذلك، ولا يحل تأخيرها ". **(شرح النووي على مسلم: ١٦/ ١٣٥)**

٢- أن يكون الستر وسيلة لإصلاح حال المستور بأن يرجع عن معصيته ويتوب إلى الله تعالى.. أما إذا كان المستور ممن يُصِرُّ على الوقوع في المعصية.. وممن يفسد في الأرض.. فهنا يجب عدم ستره حتى لا يترتب على الستر ضرر يجعل العاصي يتمادى في المعصية.

٣- الستر على الخطايا لا يعني تهوين أمرها، ولا تشجيع تكرارها، بل هو فتحٌ لباب التوبة، وتطهيرٌ للقلوب من الإصرار على المعصية، وفي الستر أيضًا تضييق لمجال المعصية إذ تصان الأعراض، ولا تشيع الفاحشة بين الناس، ويبقى مجتمع المسلمين مجتمعًا ستيرًا.

النوع الثاني من أقسام المذنبين: المجاهرون بالفسق والفجور، وهؤلاء إذا كان ضررهم متعديًا للمجتمع فلا يجوز لأحدٍ أن يتستَّرَ عليهم، ويحذر الناس منهم؛ حماية للدين، وحفظًا للأعراض والمجتمع، فمثل هؤلاء لا يزيدهم الستر إلا طغيانًا، ومن تستر عليهم فقد يكون شريكَهم في كلِّ جرائمهم وأفعالهم.

قال ابن القيم-رحمه الله-: " المعصية إذا خفيت لم تضرَّ إلا صاحبها، وإذا أُعلنت ضرَّت الخاصة والعامة، وإذا رأى الناسُ المنكر فاشتركوا في ترك إنكاره، أوشك أن يَعمَّهم الله بعقابه ". **(الداء والدواء)**

قال النووي-رحمه الله-: " المراد بالستر: الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفًا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك، فيُستحب ألا يُستر عليه، فيرفع أمرُه إلى وليِّ الأمر إن لم يَخفْ من ذلك مفسدةً؛ لأن الستر عليه يُطمعه في الإيذاء والفساد ". **(شرح النووي على صحيح مسلم : ١٦/ ١٣٥)**.

وقال ابن رجب -رحمه الله-: " اعلم أنَّ النَّاس على ضربين: **أحدهما:** مَن كان مستورًا لا يُعرف بشيءٍ مِنَ المعاصي، فإذا وقعت منه هفوةٌ أو زلَّةٌ فإنَّه لا يجوزُ كشفها ولا هتكُها، ولا التَّحدُّث بها؛ لأنَّ ذلك غيبةٌ محرَّمة. **والثاني:** من كان مشتهرًا بالمعاصي، معلنًا بها، لا يُبالي بما ارتكبَ منها، ولا بما قيل له، فهذا هو الفاجرُ الْمُعلِنُ، وليس له غيبة، ومثلُ هذا لا بأس بالبحث عن أمره، لِتُقامَ عليه الحدودُ لينكفَّ شرُّه، ويرتدعَ به أمثالُه. اهـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله- في شرحه لرياض الصالحين:٢/١٥٣" عند الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".** والستر: يعنى الإخفاء، والستر ليس محمودًا على كل حال، وليس مذمومًا على كل حال، فهو نوعان: **النوع الأول:** ستر محمود ويكون في حق الإنسان المستقيم، الذي لم يعهد منه فاحشة، ولم يحدث منه عدوان إلا نادرًا، فهذا ينبغي أن يستر وينصح ويبين له أنه على خطأ، فهذا الستر محمود. **والنوع الثاني:** ستر شخص مستهتر متهاون في الأمور معتد على عباد الله شرير فهذا لا يستر، بل المشروع أن يبين أمره لولاة الأمر حتى يردعوه عما هو عليه، وحتى يكون نكالاً لغيره.

فالستر يتبع المصالح، فإذا كانت المصلحة في الستر فهو أولى، وإن كانت المصلحة في الكشف فهو أولى، وإن تردد الإنسان بين هذا وهذا فالستر أولى ". اهـ

٩- آخر أنواع الستر وأهمها... أن يستر الإنسان على نفسه إذا وقع في معصية:

فكما أن الإنسان أُمر أن يستر على أخيه المسلم ولا يفضحه، فهو كذلك مطالب أن يستر على نفسه، فلا يهتك ستر الله عليه. وأنه كلما ازداد سترًا كان أقرب لمغفرة ذنبه.

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: **" إن اللهَ يُدْنِي المؤمنَ، فيَضَعُ عليه كنفَه ويَسْتُرُه، فيقولُ: أتَعْرِفُ ذنبَ كذا: أَتَعْرِفُ ذنبَ كذا؟ فيقول: نعم. أَيْ ربِّ، حتى إذا قرَّرَه بذنوبِه، ورأى في نفسِه أنه هلَكَ، قال: سَتَرْتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفِرُها لك اليوم، فيُعْطَى كتابُ حسناتِه".**

فهذا يدل على أن الله تعالى يستر عبده المؤمن المستتر بالمعصية في الدنيا، ثم يتم عليه ستره يوم القيامة.

وأخرج البخاري من حديث عبادة بن الصامت ﷺ- وكان شهد بدرًا، وهو أحد النقباء ليلة العقبة- قال: **إنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، وحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِن أصْحَابِهِ: بَايِعُونِي علَى أنْ لا تُشْرِكُوا باللَّهِ شيئًا، ولَا تَسْرِقُوا، ولَا تَزْنُوا، ولَا تَقْتُلُوا أوْلَادَكُمْ، ولَا تَأْتُوا ببُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بيْنَ أيْدِيكُمْ وأَرْجُلِكُمْ، ولَا تَعْصُوا في مَعروفٍ، فمَن وفَى مِنكُم فأجْرُهُ علَى اللَّهِ، ومَن أصَابَ مِن ذلكَ شيئًا فَعُوقِبَ في الدُّنْيَا فَهو كَفَّارَةٌ له، ومَن أصَابَ مِن ذلكَ شيئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهو إلى اللَّهِ، إنْ شَاءَ عَفَا عنْه، وإنْ شَاءَ عَاقَبَهُ فَبَايَعْنَاهُ علَى ذلكَ ".**

- *وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البيهقي في قصة ماعز الأسلمي ﷺ* **أنه جاء إلى أبي بكر الصديق ﷺ فاعترف على نفسه بالزنى، فقال له أبو بكر ﷺ: هل ذكرت هذا لأحد غيرى؟ فقال: لا، قال أبو بكر: فتب إلى الله واستتر بستر الله؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده، فلم تقرَّه نفسُه حتى أتى عمر بن الخطاب ﷺ، فقال له كما قال لأبي بكر ﷺ، فقال له عمر كما قال له أبو بكر -رضي الله عنهما- فلم تقرَّه نفسُه حتى أتى رسول الله ﷺ...".** الحديث

وقالت مريم بنت طارق أن امرأة قالت لعائشة -رضي الله عنها-: يا أم المؤمنين! إن كَريًّا [١] أخذ بساقي وأنا محرمة، فقالت عائشة: حِجْرًا حِجْرًا حِجْرًا [٢] وأعرضت بوجهها، وقالت: يا نساء المؤمنين، إذا أذنبت إحداكن ذنبًا فلا تخبرنَّ به الناس، ولتَستَغفِرَنَّ الله، ولتَتُب إليه؛ فإن العباد يُعَيِّرون ولا يُغَيِّرون، والله تعالى يُغَيِّرُ ولا يُعَيِّرُ". (رواه إسحاق بن راهويه في مسنده والخرائطي في مكارم الأخلاق).

وروى وكيع في الزهد عن أبي الشعثاء قال: كان شرحبيل بن السمط على جيش فقال: إنكم نزلتم بأرض فيها نساء وشراب، فمن أصاب منكم حدًّا فليأتنا حتى نُطَهِّره، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ﷺ، فكتب إليه:" لا أُمَّ لك! تأمر قومًا ستر الله عليهم أن يهتكوا سترَ الله عليهم ". (ورواه عبد الرزاق في مصنفه)

فعلى المرء ألا يهتك ستر نفسه.. فيمسك لسانه عن فضح أسراره.. وهتك أستاره.. والكلام عن مشاكله الشخصية.. قدر المستطاع.. حتى لا يضطر بعد ذلك أن يلتمس من الآخرين الستر والكتمان.

إذا المـــرءُ أفشى ســـرّهُ بلسانـــهِ ... ولامَ عليـــهِ غيـــرَهُ فهـــوَ أحمَـــقُ

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسهِ ... فصدرُ الذي يُستودَعُ السرَّ أضيَقُ

تنبيه: من وقع في ذنب فعليه أن يستر على نفسه، ويجدد التوبة، ويكثر من الاستغفار والطاعات:

وقد جاء في الصحيحين من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ، قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللَّهِ، فَقَالَ ﷺ:" أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا؟"، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:" فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ، أَوْ قَالَ حَدَّكَ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله، إني عالجتُ امرأةً[٣] في أقصى المدينة، وإني أصبتُ منها ما دون أن أمسَّها [٤]، فأنا هذا، فاقض فيَّ ما شئت، فقال له عمر:" لقد سترك الله لو سترتَ نفسك"، قال: فلم يردَّ النبي ﷺ شيئًا، فقام الرجل فانطلق، فأتْبَعَه النبيُّ ﷺ رجلًا دعاه، وتلا عليه هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ[٥] وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ[٦] إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود: ١١٤)، فقال رجلٌ من القوم: يا نبي الله! هذا له خاصةً؟ قال:" بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً[٧] ".

وهنا لم يستفسر منه النبي ﷺ، ولم يسأله عما اقترفه تحديدًا.

---

١ - كَريًّا: هو من يؤجر دابَّته.
٢ - حِجْرًا: أي: سترًا وبراءة من ذلك.
٣ - إني عالجت امرأة: أي تناولها واستمتع بها.
٤ - دون أن أمسها: المراد بالمس الجماع، ومعناه: استمتعت بها، بالقبلة والمعانقة وغيرهما، من جميع أنواع الاستمتاع، إلا الجماع.
٥ - طرفي النهار: صلاة الصبحُ، والظهر، والعصر.
٦ - زلفا من الليل: هي ساعاته، ويدخل في (زلفًا) من الليل: صلاة المغرب والعشاء.
٧ - بل للناس كافة: هكذا تستعمل كافة حالاً: أي كلهم. ولا يضاف فيقال كافة الناس، ولا الكافة، بالألف واللام. وهو معدود في تصحيف العوام ومن أشبههم.

تنبيه وتحذير.... أيها العصاة! لا تغتروا بستر الله عليكم.

فلا يغتر العبدُ العاصي بستر الله تعالى عليه، فيتمادى في العصيان، ويزداد بعدًا عن الرحمن، فإن الله تعالى يُمهل ولا يُهمل، ويُرسل النُذر ليتوب المذنب، ويؤب الشارد قبل أن يحل به العقاب، فيكشف الله عنه ستره والحجاب، ويفضحه على رؤوس الأشهاد.

أحبتي في الله... قد علمنا فيما سبق أن الله تعالى حيي ستير؛ يحب الحياء والستر، إلا أن حكمة الله تعالى قد تقتضي في بعض الأحيان في حق بعض الناس أن يرفع الله عنه ستره، فيفضحه ويظهر عيبه، إما تعجيلا للعقوبة، أو تنبيهًا وزجرًا لينتهي عن جرمه فيرجع ويتوب، أو يكون عبرة لغيره، أو غير ذلك من الحكم التي قد تخفى علينا ولا نحيط بها علمًا، فيبقى المؤمن راجيًا عفو الله وستره، خائفا من مكره وعقابه.

وقد مر بنا قول ابن القيم-رحمه الله-حيث قال: " للعَبدِ سِترٌ بَينَه وبَينَ اللهِ، وسِترٌ بَينَه وبَينَ النَّاسِ؛ فمَن هتَك السِّترَ الذي بَينَه وبَينَ اللهِ، هتَك اللهُ السِّترَ الذي بَينَه وبَينَ النَّاسِ". **(الفوائد:٣١/١)**.

وهناك أصناف من الناس قد يكشف الله ستره عنهم. فاحذر أن تكون منهم:

١- المجاهر بالمعصية:

إياك أخي الحبيب والمجاهرة بالمعصية والتحدث مع الناس بقلتُ، وفعلتُ، وصنعتُ؛ تهاونًا أو تعاظمًا أو تفاخرًا فقد تعرض نفسك للطرد من عفو الله تعالى ومغفرته.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: **" كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ ".**

- ***قال ابنُ الجَوزيِّ-رحمه الله-:*** " المُجاهِرونَ: الذين يُجاهِرونَ بالفواحِشِ، ويتحدَّثونَ بما قد فعَلوه منها سرًّا، والنَّاسُ في عافيةٍ مِن جهةِ أنَّهم مستورونَ، وهؤلاء مُفتضَحونَ ". **(كشف المشكل:٣٩٧/٣)**.

- ***وقال العَينيُّ-رحمه الله-:*** " سَترُ اللهِ مُستلزِمٌ لستَرِ المُؤمِنِ على نَفسِه؛ فمَن قصَد إظهارَ المعصيةِ والمُجاهَرةَ فقد أغضَبَ اللهَ تعالى، فلم يستُرْه، ومَن قصَد التَّستُّرَ بها حياءً مِن ربِّه ومِن النَّاسِ، منَّ اللهُ عليه بسَترِه إيَّاه ". **(عمدة القاري:١٣٨/٢٢)**.

- ***وقال عثمان بن أبي سَوْدَةَ-رحمه الله-:*** " لا ينبغي لأحد أن يهتك ستر الله تعالى، قيل: وكيف يهتك ستر الله؟ قال: يعمل الرجلُ الذنب فيستره الله عليه فيذيعه في الناس ". **(مكارم الأخلاق للخرائطي:٥٠٤)**

- ***وقال ابن حجر-رحمه الله-:***" دلَّ مجموع الأحاديثِ على أن العصاة من المؤمنين في القيامة على قسمين: قسم تكون معصيتُه مستورةً في الدنيا، فهذا الذي يسترها الله عليه في القيامة، وقسمٌ تكون معصيته مجاهرة، فهو بخلاف ذلك ". اهـ. أي يفضحُه بين الناس ولا يستره.

- ***وقال ابن القيم -رحمه الله- وهو يُعدد أضرار الذنوب:*** ومنها: أنه ينسلخ من القلب استقباحُها، فتصير له عادةً، فلا يستقبح من نفسه رؤيةَ الناس له، ولا كلامَهم فيه؛ حتى يفتخرَ أحدُهم بالمعصية، ويُحَدِّث بها مَن لم يَعْلَمْ أنه عمِلها، فيقول: يا فلان! عملت كذا وكذا! وهذا الضرب من الناس لا يُعافَوْن، ويُسدُّ عليهم طريقُ التوبة، وتُغلقُ عنهم أبوابُهَا في الغالب ". اهـ

٢- من يتتبع عورات المسلمين:

لقد حثَّ الإسلامُ على السَّترِ ورغَّب فيه، ونهى عن أن يتجسَّسَ المُسلِمُ على أخيه.

فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١٢).

***وقال مُجاهِدٌ-رحمه الله-* في قولِه تعالى:** ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي:" خُذوا ما ظهَر لكم، ودَعوا ما ستَر اللهُ".
(جامع البيان لابن جرير الطبري:٢١/٣٧٥).

وقال الطَّبريُّ-رحمه الله-: وقولُه تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي: ولا يتتبَّعْ بعضُكم عَورةَ بعضٍ، ولا يبحَثْ عن سرائِرِه، يبتغي بذلك الظُّهورَ على عُيوبِه، ولكن اقنَعوا بما ظهَر لكم مِن أمرِه، وبه فاحمَدوا أو ذُمُّوا، لا على ما لا تعلمونَه مِن سرائِرِه ". (جامع البيان:٢١/٣٧٥).

وقال الغَزاليُّ-رحمه الله-:" ومعنى التَّجسُّسِ ألَّا يَترُكَ عِبادَ اللهِ تحتَ سِترِ اللهِ، فيَتوصَّلُ إلى الاطِّلاعِ وهَتكِ السِّترِ حتَّى ينكشِفَ له ما لو كان مستورًا عنه كان أسلَم لقَلبِه ودينِه ". (إحياء علوم الدين:٣/ ١٥٢).

فاحذر من تتبع العورات وجمع السقطات، وهتك أستار المسلمين وفضح ما كان مستور، حتى لا يكشف الله سترك، ويفضح أمرك، فالجزاء من جنس العمل.

أخرج أبو داود وأحمد من حديث أبي برزة الأسلمي نضلة بن عبيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ، يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ ". (صحيح أبي داود: ٤٨٨٠)

وأخرجه البيهقي في" السنن الكبرى" بسند صحيح عن البراء بن عازب ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها، أو قال في خدورها، فقال: **" يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبِعوا عوراتهم [1]، فإن من تتبَّع عورة أخيه تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته يفضحه في جوف بيته ".** (صحيح الجامع :٧٩٨٤).

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَن سترَ عورةَ أخيهِ المسلمِ سترَ اللَّهُ عورتَهُ يومَ القيامةِ، ومَن كشفَ عورةَ أخيهِ المسلمِ كشفَ اللَّهُ عورتَهُ حتَّى يفضحَهُ بِها في بيتِهِ ".** (صحيح الترغيب والترهيب:٢٣٣٨)

٣- المصر على المعصية ولم يتب منها:

المؤمن عندما يزل الزلة ويذنب الذنب لغفلة أو شهوة عابرة يظل يوبخ نفسه ويلومها ويتوب ويستغفر فيغفر الله له ويستر الله عليه، وهكذا كلما أذنب استغفر، وكلما غفل تذكر، فهذا الذي يسبل الله ستره عليه. لكن هناك من الناس كلما ازداد ستر الله عليه؛ ازداد فُحشًا، وإصرارًا على المعصية، فهؤلاء لا يبعد أن يفضحهم الله ولا يستر عيوبهم لما قام في قلوبهم من الاستهانة بمراقبته سبحانه، وجرأتهم على عصيانه بلا خوف من عظمة الرب سبحانه.

وليست الفضيحة حينها فضيحة هذه الفعلة أو تلك المعصية؛ إنما فضيحة ذنب ممتد، ورصيد من الستر نفد. فالله سبحانه لا يهتك ستر عبده عند أول ذنب.

وقد أخرج ابن خزيمة وأبو داود في الزهد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: **أُتِيَ عُمَرُ بِشَابٍّ قَدْ سَرَقَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا سَرَقْتُ قَبْلَهَا قَطُّ: فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ، مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسْلِمَ عَبْدًا عِنْدَ أَوَّلِ ذَنْبٍ.**

ولقد تبيّن أنّ هذا الرجل قد سرق العديد من المرات. لأنه جاء في بعض الروايات **أنه قطعت يد الرجل فتبعه علي بن أبي طالب ﷺ فقال: أستحلفك بالله أهي أول مرة؟ فقال: والله إنها هي الحادية والعشرون.**

أيها العاصي... اعلم أن ستر الله عليك يظل رغم عظيم قبحك، حتى إذا ما رأى منك إصرارٌ على المعصية؛ ولا تبالي معها بعظيم ما أنت فيه من ستر، ولا يرى منك نية ارتداع أو إقلاع أو توبة؛ هنا ينزع الله ستره عنك.

فليخشى المصر على المعصية أن يفتضح أمره وبين أهله وجيرانه، ويوم القيامة على رؤوس الأشهاد.

١- ولا تتبِعوا عَوراتِهم: أي: ولا تتحرَّوْا تتبُّعَ سقَطاتِهم وزَلَّاتِهم، وكشْفَ ما يَستُرونَه عن النَّاسِ من القَبائحِ.

وهنا أتذكر قصة هذا الممثل الذي نفد رصيده من الستر فمات وهو يزني وذاع هذا الخبر بين الناس- وهذا ليس من باب كشف الأستار بل هو من باب الاعتبار، وقد نشرت أخباره الصحف، ومع هذا فلم أفصح عن اسمه – لكن أردت أن أبين لكم سوء خاتمة هذا الرجل وكيف نفد رصيده من الستر، مع ما لحقه من الفضيحة بين أهله وجيرانه.

نعوذ بالله من الخذلان، وأن يسترنا ولا يفضحنا فوق الأرض وتحت الأرض، ويوم العرض.

أحبتي في الله... فلتحفظوا رصيدكم من الستر، فوالله لو كشف الله ستره عنا لافتضحنا ما أطقنا العيش.

وأخيراً أيها العصاة... أحذروا يوماً تُهتك فيه الأستار، وتتكلم فيه الجوارح والأركان.

قال ابن الجوزي-رحمه الله-: " لا تغتروا بستر الله تعالى عليكم، فإنّ لهُ يَوماً يهتك فيه الأستار، ويحاسب عِباده على ما عملوا في اللّيْل والنّهار ". **(بستان الواعظين ص:١١٧)**

وستْرُ الله علينا يوم القيامة، أعظم وأفضل مِن ستْرِه علينا في الدنيا، فلو فضح الله العبد في الدنيا، فانْكشف ستره، وظهر عيبه، فلن يدوم ذلك أبدًا، لكنَّ المصيبة العظمى، والفضيحةَ الكبرى، يوم أنْ يفضحَ اللهُ العبدَ بين العالمين، وعلى رؤوس الأشهاد أجمعين، ويُظهرَ سريرَته أمام الآخرين، في يومٍ تُبلى فيه السرائر، ويُظهر الله ما في الضمائر، وتتكلم فيه الأركان والجوارح.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور:٢٤)

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥)

وأخرج الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال: **" كنا عند النبي ﷺ فضحك، فقال: أتدرون ممَّا أضحك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: من مخاصمة العبد ربه، فيقول: يا ربِّ، ألم تُجِرْني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: فإني لا أُجيز على نفسي إلا شاهداً مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فِيهِ، ويقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: – يعني لأعضائه- بعداً لَكُنَّ، فعنكنَّ كنت أجادل ".**

وصدق القائل حيث قال:

العمر ينقص والذنوب تزيد ... وتقال عثرات الفتى فيعود

هل يستطيع جحود ذنبٍ واحدٍ ... رجلٌ جوارحه عليه شهود

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (فصلت: ٢٠، ٢٢)

فكل شيء سينطق يوم القيامة حتى هذه الأرض ستشهد على الإنسان بما عمل عليها من خير أو شر.

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾(الزلزلة:٤)، قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كلِّ عبدٍ أو أَمَةٍ بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا، كذا وكذا، فهذه أخبارها ".

وأخيراً.... أحبتي في الله، علينا جميعاً أن ندعو الله دوماً أن يسترنا في الدنيا والآخرة.

وهذا من هدي النبي ﷺ فقد كان من دعائه طلبُ الستر من الله تعالى.

فقد أخرج أبو داود في سُننه والنسائي في "عمل اليوم والليلة" وابن ماجه من حديث ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدَع هؤلاء الكلمات حين يُمسي وحين يُصبح:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي [1] ".

ومن جميل دعاء بشر الحافي–رحمه الله–:" اللهم استر، واجعل تحت الستر ما تحب، فربما سترت علي ما تكره ".

فمع نعمة الستر هناك نعمة أخرى بها يكمل ويجمل، وهو أن يسترك الله ويجعل تحت الستر ما يحب، فقد يستر الله تعالى عبدًا، وهو ممن يفعل المنكرات.

– فيا مسبل الستر لا تهتك عنا سترك.. اللهم أدم علينا سترك الجميل، واجعل تحت الستر ما يرضيك؛ فطالما سترت على ما لا يرضيك.

– اللهم استرنا فوق الأرض، وتحت الأرض، ويوم العرض عليك.

– اللهم لا تفضحنا بين خلقك، وتجاوز عنا يوم العرض عليك، إنك على كلِّ شيءٍ قدير.

١ـ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي: قال أبو داود، قال وكيع: يعني: الخسف.

– فاللهم لا تنزع عنا ثوب الستر والحياء، واحمنا من الشر والبلاء، ولا تجعلنا مِمَّن يُشيعُ الفتن والفحشاء، إنَّك سميع قريبٌ مجيب الدعاء.

– نسأل الله أن يستر عيوبنا، ويغفر ذنوبنا، ويتجاوز عن زلاَّتنا وهفواتنا، وأن يصون عوراتنا، ويؤمن روعاتنا؛ إنَّه قريب مجيب.

– جعَلني الله وإياكم في سِترٍ وعافية في الدنيا والآخرة.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك